منهج
أمهات المؤمنين
في الدعوة

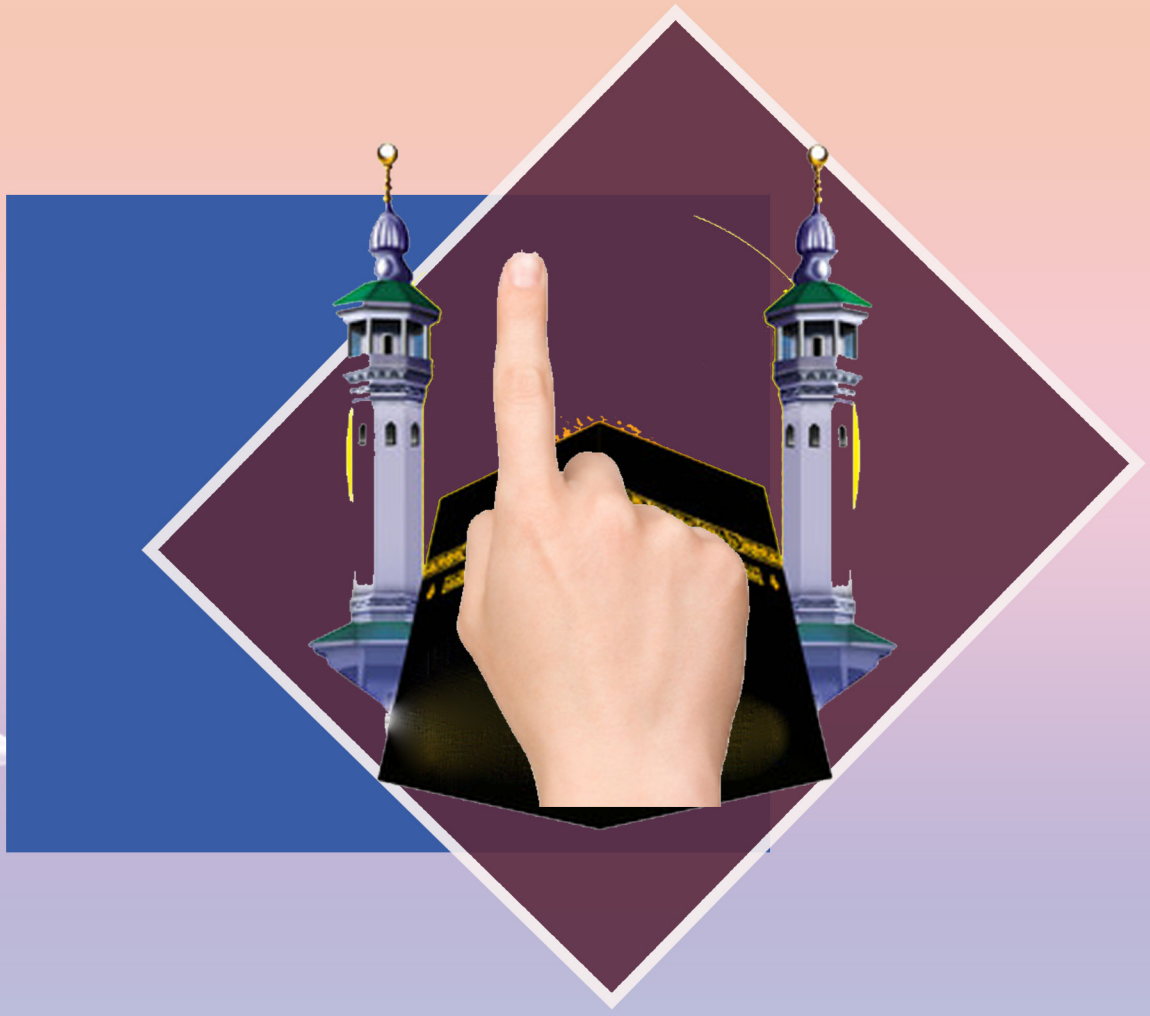

د. زلفى أحمد محمد الخراط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تهدف الدعوة الإسلامية إلى جذب المدعوين إلى الدين الإسلامي الحنيف، وتعريفهم بمقاصده وغاياته، وترغيبهم بشعائره وشرائعه. ولتحقيق هذا الهدف السامي يسير الداعية وفق منهج مدروس فيستخدم أسلوباً مناسباً؛ ليصل بدعوته إلى برّ السلام المنشود بطريقة مشروعة .

وأساليب الدعوة: هي الطرق التي يسلكها الداعي من أجل مباشرة تبليغ دعوته.

والداعية الأمثل يضع نصب عينيه اختيار الأسلوب المناسب في الوقت المناسب، ليكون لدعوته وقْع أبلغ في نفس المدعو، كما أنه يختار الأسلوب الدعوي الملائم للمدعوين ، والذي يراعي اختلاف مداركهم ، وتباين ثقافاتهم.

وقد استخدم الدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان الأساليب الدعوية المتنوعة؛ ليوصلوا دعوتهم إلى الناس، وليبلغوهم من خلالها تعاليم دينهم. ومن أبرز الدعاة الذين استخدموا أساليب مميّزة لنشر دعوتهم أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– ومن أهم تلك الأساليب الدعوية :

١–التعليم:

أسلوب التعليم من الأساليب الهامة التي لا غنى للداعية عنها، فالدعوة بدون التعليم تبقى كلمات مثالية توجيهية، لن يستفيد المدعو منها إلا بتطبيقها في واقع حياته العمليه، وهذا هو دور الداعية، وذلك بتعليم المدعو بالطريقة الصحيحة المشروعة، وبذلك يجتمع عنده كلّ من العلم والعمل.

وأمهات المؤمنين ممن حُزنَ قصب السبق في هذا المجال، فعلّمن الجاهل ،وصحّحن للمخطئ، وقوّمن المعوّج. ومن النماذج على استخدامهن لهذه الوسيلة: ما رُوي عن عبد الله بن شهاب الخولاني، قال: كنتُ نازلاً على عائشة، فاحتلمتُ في ثوبي، فغمستهما في الماء، فرأتني جارية لعائشة، فأخبرتها فبعثت إليّ عائشة فقالت: ما حملك على ما صنعت بثوبيك؟ قال قلت: رأيت ما يرى النائم في منامه، قالت: هل رأيت فيهما شيئا؟ قلت: لا، قالت: "فلو رأيت شيئا غسلته!؟ لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يابساً بظفري"(١). فعائشة –رضي الله عنها– لمّا أخطأ عبد الله لم تدعه وشأنه، بل بادرت إلى تصحيح خطئه بالاستدلال بفعلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتُعلّم عائشة –رضي الله عنها– أحد مواليها طريقة الوضوء على نحوٍ عملي: بأن تتوضأ أمامه وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بُغية ترسيخ الطريقة الصحيحة في ذهنه، عن سَالِمٌ سَبَلَانُ –وكان عبداً مملوكاً، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَعْجِبُ بِأَمَانَتِهِ وَتَسْتَأْجِرُهُ– قَالَ: "أَرَتْنِي عائشة كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ"(٢).

---

(١) رواه مسلم – ١/٢٣٩– ح ٢٩٠

(٢) سنن النسائي – ١/٧٢– ح ١٠٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد غدت –رضي الله عنها– مرجعاً علمياً في تعليم مجتمعها أمور دينهم، واستقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر، وإلى أن ماتت[٣]. وكان يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].ويؤكّد ذلك أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فيقول: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً"[٥]. ويقول التابعي الجليل مسروق: "والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض"[٦].

وكانت –رضي الله عنها– لا تتحرج من إجابة المستفتين عن أي مسألة من مسائل الدين، ولو كانت تتعلق بالشؤون الخاصة، بل كانت تشجع مَن يستحي من السؤال عن مثل تلك الشؤون، ومن ذلك ما روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال لها: إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك، فقالت: (سل ولا تستحي فإنما أنا أمك) [٧] .

وأم سلمة –رضي الله عنها– صرح آخر من صروح العلم في عصرها، وقد روى عنها الكثير من الصحابة والتابعين، وتتلمذ على يدها الكثير من طلبة العلم[٨]. ولِفقها العميق وسِعة علمها بأمور الدين، كان الصحابة يستفتونها فيما جهلوا من مسائل شرعية: اختلف الصحابة فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَة، فَأَرْسَلوا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلونها، فَقَالَتْ: (قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ وَهِيَ حُبْلَى، فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَخُطِبَتْ فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا) [٩].

ومثلها جويرية وصفية رضي الله عنهما، فقد روى عنهما، وتتلمذ على أيديهما العدد من الصحابة والتابعين[١٠].

ومن أمهات المؤمنين اللاتي حرصن على تعليم المجتمع ما لديهن من علم وفقه حتى في الأمور الزوجية الخاصة، أم حبيبة وميمونة –رضي الله عنهما– ولم يمنعهما الحياء من ذلك؛ لفهمهما التام ألّا حياء في الدين .

---

(٣) سير أعلام النبلاء– ٥/٥٥

(٤) الطبقات الكبرى– ٣٧٥/ ٢

(٥) سنن الترمذي– ٥/٧٠٥– ح ٣٨٨٣

(٦) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٧٥

(٧) مسند الإمام أحمد ٩٧/ ٦ – ح ٢٤٦٩٩

(٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال– ٣٢٠/٣٥

(٩) رواه البخاري–١٥٥/٦– ح ٤٩٠٩

(١٠) المرجع السابق– ٣٥/ ١٤٦، المرجع السابق–٢١٠/٣٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

روي عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ أُخْتَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّ فِي الثَّوْبِ الَّذِي يُجَامِعُهَا فِيهِ؟ فَقَالَتْ: (نَعَمْ إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِ أَذًى[١١].

وعن ميمونة رضي الله عنها: (تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُضُوءهُ لِلصَّلاَةِ، غَيْرَ رِجْلَيْهِ، وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الأَذَى، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الماءَ، ثُمَّ نَحَّى رِجْلَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا، هَذِهِ غُسْلُهُ مِنَ الجَنَابَةِ)[١٢].

فمثل تلك الأحكام الشرعية الدقيقة الخاصة إن لم تروها لنا إحدى أمهات المؤمنين صَعُب علينا معرفتها؛ إذ إنها تتعلّق بخصوصية الزوج مع زوجته، ويُستحى عادة من الاستفسار عنها أو روايتها من قِبَل رجال الصحابة.

ومن وسائل التعليم التي استخدمتها أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– نقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبليغها للناس.

فسودة –رضي الله عنها– روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أحاديث[١٣]. وكذا عائشة –رضي الله عنها–، فقد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه[١٤]، ويبلغ مسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث[١٥]، أما حفصة –رضي الله عنها– فقد نقلت لنا عن رسول صلى الله عليه وسلم ستين حديثا[١٦]، ولزينب بنت جحش –رضي الله عنها– أحد عشر حديثا[١٧]. وجويرية بنت الحارث –رضي الله عنها– روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث[١٨]، ولميمونة: ثلاثة عشر حديثا[١٩]. وممن أكثرن من الرواية عن رسول الله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أمّ سلمة –رضي الله عنها–[٢٠]،إذ روت عنه ثلاثمائة حديث وثمانية وسبعين حديثاً[٢١].

---

(١١) السيرة النبوية – ٢/٣٩٦

(١٢) رواه البخاري- ١/٥٩- ح ٢٤٩

(١٣) سير أعلام النبلاء-٢/٢٦٩

(١٤) المرجع السابق- ٢/ ١٣٥

(١٥) المرجع السابق- ٢/ ١٣٩

(١٦) المرجع السابق -٢/٢٣٠

(١٧) المرجع السابق-٢/٢١٨

(١٨) تلقيح فهوم أهل الأثر- ٢٩٣

(١٩) سير أعلام النبلاء – ٢/٢٤٥

(٢٠) الإصابة في تمييز الصحابة – ٨/٣٤٤

(٢١) جوامع السيرة – ٢٧٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢-الموعظة الحسنة:

الموعظة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

الموعظة من أهم الأساليب المؤثرة في المدعو إيمانياً، وخلقياً، ونفسياً، واجتماعياً، فهي تُوعِّيه بتعاليم الإسلام ومبادئه، وتدفعه إلى التطلُّع لمعالي الأمور، وتحثِّه على التحلّي بمكارم الأخلاق، وهي تؤثر في القلب، فترُقّقه وتُلين قسوته، فيتأثّر بالواعظ، ويخضع ويرجع لخالقه.

ولقد تنوّعت مواعظ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن بين ترغيب وترهيب وأمر ونهي، تبعاً لحالة الموعوظ، والموضوع المراد الوعظ فيه. وممن اشتهر بالوعظ منهن عائشة –رضي الله عنها– فقد كانت فصيحة، بليغة، تُحسن انتقاء كلماتها، وتُبدع في رصف عباراتها، حتى أن الأحنف بن قيس رضي الله عنه أثنى على بلاغتها فقال: "سمعتُ خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم والخلفاء هلم جرَّ إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في عائشة –رضي الله عنها[٢٢].

ومن الأمثلة على نصائحها قولها في التحذير من الإسراف في الذنوب: "إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سرّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكفّ نفسه عن كثرة الذنوب"[٢٣].

ومن ذلك قولها رضي الله عنها: "من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاما له"[٢٤]. ولمّا حكى لها أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الخصومة التي وقعت بينه وبين أناس، حذّرته من الظلم قائلة: "يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ظلم قِيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين" [٢٥].

وكان ابن أبي السائب من الوعّاظ والقصاص في المدينة، الذين يدعون بأدعية مسجعة ليجذبوا الناس إليهم، ويلفتوا انتباههم لِما يُلقونه، فلما سمعت عائشة عن ابن أبي السائب قالت له: "ثلاثا لتبايعني عليهن أو لأناجزنك؟ فقال: ما هن؟ بل أنا أبايعك يا أم المؤمنين، قالت: اجتنب السجع في الدعاء، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك، وقصّ على الناس في كل جمعة مرة، فإن أبيت فثنتين فإن أبيت فثلاثاً، فلا تملّ الناس، ولا ألْفينّك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقطع عليهم حديثهم، ولكن اتركهم، فإذا جرؤوك عليه وأمروك به فحدّثهم"[٢٦].

---

(٢٢) المستدرك على الصحيحين – ١٢/٤

(٢٣) صفة الصفوة- ٣١٩/١

(٢٤) لسان الميزان – ٥/ ٤٦٨

(٢٥) أخرجه البخاري- / - ح١٦١٢

(٢٦) أخرجه الإمام أحمد – ٦/ ٢١٧- ح ٢٥٨٦٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولمّا بدأت تظهر بين المسلمين أنواع من الملاهي وصنوف من المسليات نتيجة اختلاطهم مع العجم، ومنها اللعب بالشطرنج والنردشير وغيرها مما تسبب في تضييع الأوقات، بدأ الصحابة يردعون الناس عن هذه الأعمال ويزجروهم عنها، وقد بلغ عائشة أن أهل بيت في دارها عندهم نرد، فأرسلت إليهم: "لئن لم تخرجوها لأخرجنكم من داري" وأنكرت ذلك عليهم(٢٧) .

وكانت النسوة يدخلن على عائشة –رضي الله عنها– فيستفتينها في أمور دينهن فتقدّم لهن الموعظة وتُفتيهن فيما أشكل عليهن، وتطلب منهن أن يبلغن أزواجهن بذلك. وقد دخلت عليها ذات مرة نسوة من البصرة فقالت لهن: "مُرْنَ أزواجكن يغسلوا عنهم أثر البول والغائط، فإنا نستحيي أن ننهاهم عن ذلك، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله"(٢٨).

وأسْدت عائشة الموعظة لامرأة أرادت وصل شعر ابنتها العروس لأنه تضرّر بمرضها، فقالت لها: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة" (٢٩).

وقد يظن البعض أن الإسراع في تلاوة القرآن فيه تحصيل للمزيد من الأجر والثواب، فتصحّح عائشة هذا الفهم الخاطئ، وتعظهم بالتمهّل في قراءة الآيات والتدبّر في معانيها، فقد روي أنه جاء شخص إلى عائشة، وسألها عن أناس يقرؤون القرآن في الليلة مرة أو مرتين؟ فقالت: "أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله عز وجل واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله عز وجل ورغب إليه"(٣٠).

وحفصة بنت عمر –رضي الله عنها– من أمهات المؤمنين اللاتي استخدمن هذا الأسلوب، فتقدّم لأبيها موعظة بليغة؛ بغية التخفّيف عنه في مرضه: "يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على ربٍ رحيم ولا تبعة لأحد عندك، ومعي لك بشارة لا أذيع السر مرتين ونِعم الشفيع لك العدل، لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك وعفاف نهمتك وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض"(٣١).

وتلك أم سلمة –رضي الله عنها– تحث على الخروج في طاعة الله، وترغّب مَن قرن خروجه بذِكر الله بأنه سيُوفق إلى مراده، وسيُستجاب له طلبه:"مَن خرج في طاعة الله، فقال: اللهم إني لم أخرج أشراً أو بطراً، ولا رياء ولا سمعة، ولكني خرجت ابتغاء مرضاتك، واتّقاء سخطك؛ فأسألك بحقك على

---

(٢٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد– ١/ ٤٣٥– ح ١٢٧٤

(٢٨) مسند الإمام أحمد ٩٥/ ٦ – ح ٢٤٦٨٣

(٢٩) مسند الإمام أحمد ٦/ ١١١ – ح ٢٤٧٤٧

(٣٠) مسند الإمام أحمد ٩٢/ ٦ – ح ٢٤٦٥٣

(٣١) بلاغات النساء – ٣٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميع خلقك أن ترزقني من الخير أكثر مما أرجو، وتصرف عني من الشر أكثر مما أخاف، استجيب له بإذن الله"[٣٢].

وتعِظ صفية بنت حيي أولئك الذين لم يقرنوا عبادتهم بالخضوع لله والبكاء من خشيته: رُوي أن نفرا اجتمعوا في حجرة صفية، فذكروا الله، وتلَوا القرآن، وسجدوا، فنادتهم صفية: "هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء؟"[٣٣].

٣-الحكمة:

الحكمة: هي معرفة أسرار الشرع وفوائده وحِكَمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي.

ولقد برز في هذا المضمار كل من خديجة بنت خويلد وأم سلمة رضي الله عنهما، أما خديجة فكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة[٣٤]، حرصت على أن يكون لها أذن مصغية، وعقل راجح، ولسان فصيح، وقد ظهر ذلك جلياً بعد حادثة نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أصغت إليه ولم تقاطعه، وأحسنت الإجابة والتصرف بعد ذلك.

أما أم سلمة فقد ظهر كمال عقلها ورجاحة رأيها وحكمته في حادثة صلح الحديبية، فرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا)، فما قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا". [٣٥].

٤-القدوة الحسنة:

المقصود بالقدوة الحسنة هو أن يتمثّل الداعية الصفات الحسنة في حياته كلها، بحيث تُطابق أفعاله أقواله وفق ما جاء به الشارع الحكيم، والتي تجعله قدوة مثلى لمجتمعه وللأمة الإسلامية .

---

(٣٢) العقد الفريد- ١٧٨/٣

(٣٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- ٥٥/٢

(٣٤) السير والمغازي – ٨١

(٣٥) رواه البخاري – ١٩٦/٣- ح ٢٧٣١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: "فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم على أحقّيّة الإسلام ، وأنه من عند الله ، ولا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل"(٣٦).

ومن أهم ما سار عليه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في حياتهن من صفات كانوا بها مثُلاً عليا يُؤتسى بها:

أ-الإيمان الراسخ

أدركت كل واحدة من أمهات المؤمنين طبيعة المهمة الجسيمة الملقاة على عاتقها منذ اليوم الأول من انتسابها إلى البيت النبوي، فحرصت على تربية نفسها، وتقويمها، وتدريبها للقيام بهذه المهمة؛ لتكون أهلاً لها، وقادرة على حملها، فحرصن –رضي الله عنهن– على تعزيز الصلة بالله تعالى، وتوثيق العلاقة به سبحانه، وحافظت كل واحدة منهن على أداء العبادات على أفضل وجه، وأكمله، وأقومه، والاستكثار من ذلك؛ ابتغاء إصلاح أنفسهن، وطلباً للأجر والمثوبة من الله تعالى.

من ذلك ما روي أن عائشة –رضي الله عنها– كانت تسرد الصوم، ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فِطْر، وكانت تطيل القيام في الصلاة، والبكاء من خشية الله تعالى(٣٧). ومثلها حفصة –رضي الله عنها–، فقد روي أنها كانت صوَّامة قوَّامة بشهادة من جبريل عليه السلام(٣٨).

وكانت أمّ سلمة –رضي الله عنها– تحرص على أداء العبادة، ولا تُبالي بما يصيبها من تعب ونصب: روي أنها قَالَتْ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَشْتَكِي، فَقَالَ: (طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ).

وتلك زينب بنت جحش–رضي الله عنها– الخاشعة الراضية الأواهة الداعية، والتي يشهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعبادة والتبتّل والخشوع، فيقول عنها: (إِنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَوَّاهَةٌ، أي خاشعة متضرعة)(٣٩). كما تشهد لها أم سلمة –رضي الله عنها– بذلك فتقول: (كانت زينب بنت جحش امرأة صالحة صوامة قوامة)(٤٠). ولحرصها على العبادة اجتهدت –رضي الله عنها– في ابتكار ما يعينها على إطالة زمن عبادتها، والإكثار منها، حتى وإن أصابها رهق وتعب، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنكر عليها ذلك، ويوجّهها إلى الاقتصار على القدر المستطاع دون تكليف النفس فوق ما تُطيق: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: (مَا هَذَا الحَبْلُ؟) قَالُوا:

---

(٣٦) أصول الدعوة – ٤٨٥

(٣٧) صفة الصفوة – ١/ ٣١٩

(٣٨) الطبقات الكبرى– ٨/٨٦، سير أعلام النبلاء– ٢/٢٢٨

(٣٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء –٢/ ٥١، الاستيعاب في معرفة الأصحاب –٤/ ١٨٥٢

(٤٠) تهذيب الأسماء واللغات – ٢/ ٣٤٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)[٤١].

وجُويرية –رضي الله عنها– تُعطينا مثالاً مشرقاً للمرأة المسلمة التي تحرص على النهل من معين العبادات، والتنعُّم في نعيمها دون سأم أو كلل، فقد روي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: (مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟) قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ"[٤٢]. وكانت –رضي الله عنها– تحب التقرب إلى الله بصوم نفل يقيها حرّ جهنم، ولمّا كانت تجهل الحكم الشرعي في شروط صوم يوم الجمعة، وجّهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه: عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ –رضي الله عنها–، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: (أَصُمْتِ أَمْسِ؟)، قَالَتْ: لاَ، قَالَ: (تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟) قَالَتْ: لاَ، قَالَ: (فَأَفْطِرِي)[٤٣].

ومن أمهات المؤمنين اللاتي وُصِفْن بكثرة العبادة السيدتان صفية بنت حيي[٤٤]، وأم حبيبة[٤٥]رضي الله عنهما، وقد لازمت أم حبيبة صلاة سنن الرواتب، ولم تدعها منذ علمت عظيم أجرها، وجزيل ثوابها: تقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ: (مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ) قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم[٤٦]. ولم يكن ذاك مفاخرة ومباهاة منها، بل هو تشجيع على الاقتداء بها، والسير على هديها. يقول النووي –رحمه الله–: "وفيه أنه يَحْسُن من العالم ومن يقتدي به أن يقول مثل هذا، ولا يقصد به تزكية نفسه، بل يريد حثّ السامعين على التخلُّق بخُلُقِهِ في ذلك، وتحريضهم على المحافظة عليه، وتنشيطهم لفعله"[٤٧].

---

(٤١) رواه البخاري – ٢/ ٥٤– ح ١١٥٠

(٤٢) رواه مسلم – ٤/ ٢٠٩٠– ح ٢٧٢٦

(٤٣) رواه البخاري – ٣/ ٤٢– ح ١٩٨٦

(٤٤) البداية والنهاية – ٨/ ٤٦

(٤٥) المرجع السابق – ٨/ ٢٨

(٤٦) رواه مسلم – ١/ ٥٠٢– ح ٧٢٨

(٤٧) شرح النووي على صحيح مسلم – ٦/ ٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب–الاستجابة لأمر رسول الله:

ومن صفات الداعية التي اتّصفت بها أمهات المؤمنين فجعلت منهن أسوة حسنة للمؤمنين، الاستجابة التامة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وإن لم يوافق هوى لديهن أو عارض مصلحة لهن.

ومن النماذج على تلك الاستجابة: ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا حجّ بنسائه عام حجة الوداع قال: (هذه الحجّة ثم ظهور الحُصُر)، يقول الراوي: "وكان كلّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم يحججن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش، قالتا: "لا تحركنا دابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤٨]. فسودة وزينب رضي الله عنهما أبتا أن تحجّا بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ استجابة تامة لأمره، واستسلاماً كاملاً لحكمه.

ولزينب بنت جحش رضي الله عنها موقف آخر مشرق في كمال التسليم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في قصة زواجها من زيد بن حارثة، إذ لم تكن راضية بهذا الزواج، ولكنها وافقت على مضض، لإدراكها أنّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق كل اعتبار: انْطَلَقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْطُبَ عَلَى فَتَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةِ فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: لَسْتُ بِنَاكِحَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلْ فَانْكِحِيهِ). قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُؤَامِرُ فِي نَفْسِي. فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) الْآيَةَ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُهُ لِي مُنْكِحًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَتْ: إِذًا لَا أَعْصِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، قد أنكحته نفسي[٤٩].

وأم حبيبة رضي الله عنها من أولئك اللاتي استجبن للأمر الشرعي، وتمثّلته منهج حياة لها، فكانت بتلك الاستجابة وذاك التطبيق خير قدوة: روي أن أُم حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ دَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ، أَوْ غَيْرُهُ. فَدَهَنَتْ بِهِ جَارِيَةً. ثُمَّ مَسَحَتْ بِعَارِضَيْهَا. ثُمَّ قَالَتْ: وَاللهِ، مَا لِي بِالطِّيبِ حَاجَةٌ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: (لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِالله، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً)[٥٠].

ج–الخلق الرفيع

تُعدُّ الأخلاق من أهم الدعائم التي يقوم عليها أيّ مجتمع إنسانيّ، وهي مقياس حضارته وتقدّمه بين الشعوب والأمم، فمن المعلوم أن ثمّة علاقة وثيقة بين تقدّم أيّ مجتمع ورِفعته وازدهاره، وبين تمسّكه

---

(٤٨) الطبقات الكبرى –٨/٥٥

(٤٩) تفسير ابن كثير–٦/٤٢١

(٥٠) موطأ مالك – ٤/٨٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالفضائل والمحاسن والمحامد. فعندما يتمثّل المجتمعُ رفيعَ الأخلاق وكريمَ الصفات يغدو مجتمعاً فاضلاً عزيزاً، يباركه الله، ويمدّه بأسباب العزة والتمكين. وفي المقابل إذا انخلع المجتمع من الحُسن والمَكْرُمات، وانتشرت فيه السيئات والرذائل، غدا مجتمعاً بغيضاً غير متعاون ولا متفاهم، فتتقطع أواصره، وتتهدم علاقاته، وتُمحق بركته، وإنّ مجتمعاً بلا أخلاق كشجرة بلا أوراق.

ولقد اتصفت أمهات المؤمنين بمكارم الأخلاق وعظيم الصفات، وطبقنها، ودَعَوْنَ مجتمعهن إليها. ومن أولئك السيدة سودة-رضي الله عنها-، فهي من أوائل المهتديات إلى الإسلام، فقد لامس شغاف قلبها، ووافق هوى نفسها، وصبرت في سبيل إيمانها، وتحمّلت المشاقّ والصعاب بالهجرة إلى الحبشة، والتغرب عن الأهل والوطن، ونشأت على كريم الصفات، وفضائل الخلال، حتى إن عائشة -رضي الله عنها- تمنّت أن تكون على مثل هديها القويم وسمتها الكريم. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا[٥١] مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ"[٥٢].

وممن مُدحن في حُسن خلقهن: أم المؤمنين صفية بنت حيي -رضي الله عنها-، فقد كانت حليمةً عاقلة، فاضلة، شريفة، عاقلة، ذات دين[٥٣]، ومن سيدات النساء ورعاً وزهادةً وبراً[٥٤]. وكذا ميمونة -رضي الله عنها-، إذ تقول عنها عائشة: "كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم"[٥٥].

ومن جملة الأخلاق الفاضلة التي تحلّت بها أمهات المؤمنين ودَعَوْن إليها: الورع، وقد اشتُهرت به عائشة -رضي الله عنها-، ومن مواقفها الورِعة ما حكته لنا حيث قالت: جاءني عمي من الرضاعة يستأذن علي، بعدما ضرب الحجاب، قلت: لا آذن لك حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرتْ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ليلِج عليك عمك)، قلت إنما أرضعتني المرأة، ولم يرضعني الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هو عمك فليلج عليك)[٥٦]. فعائشة تمنّعت عن مقابلة عمها تورعاً لمّا جهلت الحكم الشرعي الفاصل في ذلك، ولكن لما أكّد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إباحة دخوله عليها أذِنت له.

---

(٥١) مسلاخ الإنسان: ثيابه، وهذه استعارة، والمعنى: أحب أن أكون في مثل هديها وطريقتها. (انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين-٤/ ٣٢٠)

(٥٢) رواه مسلم- ٢/١٠٨٥- ح ١٤٣٦

(٥٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب -٤/١٨٧٢، سير أعلام النبلاء -٢/٢٣٢

(٥٤) البداية والنهاية -٨/٤٦

(٥٥) سير أعلام النبلاء -٢/٢٤٤

(٥٦) مسند أحمد – ٤٢/ ٣٩٨- ح ٢٥٦٢٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروي عن إسحاق الأعمى، قال: دخلتُ على عائشة فاحتجبت مني، فقلت: تحتجبين مني ولست أراك؟ قالت: (إن لم تكن تراني فإني أراك)[٥٧]. فمع أن بعض العلماء أجاز نزع الحجاب أمام الأعمى، إلا أن عائشة تورّعت عن ذلك، وفضّلت الاستتار منه.

ومن أمهات المؤمنين الورِعات –وكلهنّ كذلك– زينب بنت جحش–رضي الله عنها–، فقد امتنعت عن ذِكر عائشة بسوء لمّا سُئلت عن رأيها فيها في حادثة الأفك، مع أن الموقف مناسب، والفرصة سانحة لذِكر شيء من مساوئ ضرّتها، إلا أن ورعها حال بينها وبين ذاك: روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا سأل زينب بنت جحش عن موقفها من حادثة الإفك، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عائشة: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ[٥٨].

ومن الخلال الحميدة التي سار على هديها أمهات المؤمنين الحِلم، وممّن اشتُهرت به صفية بنت حيي –رضي الله عنها–، ومن مواقفها الحليمة: ما روي أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب، فقالت له: "إن صفية تحب السبت، وتصِل اليهود"، فبعث عمر يسألها، فقالت: "أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة؛ وأما اليهود، فإن لي فيهم رحما، فأنا أصلها".ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبي، فأنت حرة[٥٩].

ومن الصفات الحميدة أيضا عندهن الزهد، وثمّة موقف لعائشة يدل دلالة بيّنة على الدرجة الرفيعة التي وصل إليها زهد عائشة وأمهات المؤمنين: فقد روي أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: (إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَلَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ)، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: **(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجرا عظيما)**[٦٠]، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ[٦١]. وكان ذاك الاختيار الموفق هو ذاته اختيار بقية أمهات المؤمنين.

---

(٥٧) الطبقات الكبرى –٦٩/٨

(٥٨) رواه البخاري –١٧٣/٣– ح ٢٦٦١

(٥٩) سير أعلام النبلاء –٢٣٢/٢

(٦٠) سورة الأحزاب: الآيات ٢٨–٢٩

(٦١) رواه مسلم – ١١٠٣/٢– ح ١٤٧٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الأخلاق الحسنة التي عُرفت بها أمهات المؤمنين الصبر في سبيل الدعوة إلى الله والتضحية في سبيل ذلك بالمال والأهل والوطن. ومن أولئك الصابرات المهاجرات سودة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة[٦٢].

وهكذا تبيّن لنا من استخدام أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– لأساليب الدعوة حِرصهم البالغ على دفع مسيرة الدعوة إلى الأمام ، وجَنْي ثمار الجهود المبذولة في ذلك؛ لذا فإن على الدعاة في كل زمان ومكان أن يجتهدوا دوماً في استخدام الأسلوب المناسب في الوقت المناسب، فأصناف المدعوين مختلفة ، والأسلوب الذي قد يؤثّر في بعض المدعوين قد لا يؤثر في بعضهم الآخر.

بقلم: د.زلفى أحمد محمد الخراط

دكتوراه في الدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(٦٢) سير أعلام النبلاء –٢/٢١١، الإصابة في تمييز الصحابة –٨/٤٠٤

هذا الكتاب منشور في